محاضرة رقم 8

: نظرية التشكيل : انطوني جيدنز Giddens

تمهيد :

ان الفكرة الأساسية في نظرية التشكيل هي ما يدعوه Giddensثنائية البنية فهو يذهب الى ان علم الاجتماع ينظر عادة الى البنية باعتبارها سمة تحكم أو تحدد الحياة الاجتماعية ،لكنها أيضا في واقع الأمر سمة تجعل الحياة ممكنة كمثال اللغة :فاللغة تقيد ما نستطيع قوله ،لكنها تمكننا من قول شيئ ما .و البنى تتغلف بالفعل لانها لا توجد الا في الفعل و من خلاله.و هو الذي يخلقها و يعيد خلقها و يغيرها

النظام الاجتماعي بالنسبة الى Giddens يتكون أساسا من نشاط روتيني ضمني يجري وفق قواعد معينة و ان البنية تشير الى القواعد المضمرة في مثل ذلك النشاط .ان البنية توجد في الفعل و عبره فقط شأنه في ذلك شأن اللغة .

و أن مجال الدراسة وفق نظرية التشكيل لا هو خبرة الفاعل الفرد ،و لا وجود لأي شيئ من الكل المجتمعي بل هو الممارسات الاجتماعية المنتظمة عبر الزمان و المكان

انشغل انتوني غدنز في تحديد علم الاجتماع ومناهجه وموضوعاته وبهذا رفض مقولة الوضعيين بأنّ حقيقة المجتمع موضوعية مستقلة , كما لم يقبل النظرة المثالية التي تقصر حقيقة المجتمع في المعنى , ورغم أنّ موقعه يميل إلى اعتبار المجتمع حقيقة تشمل الجانبين الموضوعي والذاتي إلا أنه يرجح الذاتي فالفرد الفاعل يعي ما يقوم به ولو نسبياً فالبناءات الاجتماعية هي نتاج عمليات التفاعل وتصبح بعد تشكلها طرفاً يساهم في تشكيل الفاعل واختياراته , فالإنسان ليس حرّاً في أفعاله واختياراته بل تحدده الظروف والمواقف الاجتماعية لكنه أيضاً ليس أسيراً لهذه الظروف , فهو يحلل ويؤول الواقع الاجتماعي الذي سبق وكان تأويله من قبل الفاعلين فأسماه غدنز (التأويل الثنائي)

يرى غدنز أنّ علم الاجتماع التأويلي قد ساهم في توضيح منطلق ومنهج العلوم الاجتماعية , فالواقع الاجتماعي يفهم كإنجاز للنشاطات البشرية فيمكن إدراكه وتفسيره كنظام رمزي وكوسيط للنشاطات الفعلية , إنّ الإنسان لا يصنع عالم الطبيعة ولكنه يتفاعل معه لإنتاج ما يؤثر في حياته.

ويرى غدنز أنه يمكن تجاوز هذه المشكلات المنهجية والمعرفية بتناول قضايا ثلاث :

- توضيح معنى الفعل وارتباطه بفكرة القصدية والمنطق العقلي والحوافز .
- صلة نظرية الفعل بالخصائص الممأسسة للبناءات .
- تناول الصعوبات المعرفية التي تواجه أي محاولة لإيضاح منطق المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية .

يرى غدنز أن إنتاج المجتمع يتم بواسطة المهارات النشطة للأعضاء الذين يستخدمون الموارد ضمن الظروف التي قد يعونها أو لا يعونها ويمكن هنا تميز ثلاثة أوجه في عملية البناء هي : العوامل المرتبطة ببناء المعنى , الجوانب الخلقية , ثمّ العلاقة بالقوة وتباينها , فالبناءات تتشكل بالجهد والعقل الإنساني وتصبح بعد تشكيلها ظرفاً سببياً في تشكيل الأفعال ومساراتها علماً أنّ كلّ التنظيمات الجماعية هي نتيجة انساق من التفاعل يمكن تحليلها كبناءات , إن إنتاج البناءات المهيمنة يتضمن تباين المعنى والجوانب الخلقية ويرتبط ظهورها بالتباين البنائي وخاصة تباين القوة والمصالح والتي توجه بدورها الصراع في التأويلات المتباينة لأطر المعاني والأخلاقيات فالتباين في البناء الاجتماعي الذي يتضمن تباين القوة والمصالح يفرز تبايناً بين الجماعات المختلفة على ما تأخذ به من أطر المعاني والأخلاقيات أي التباين في البناء الاجتماعي

يرى **غدنز أنّ الافتراضات** التالية تشكل قواعد المنهج في علم الاجتماع :

- إنّ موضوع علم الاجتماع هو دراسة وتحليل إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع .
- هناك حدود للفاعل كوسيط في كيفية تناول علميات الإنتاج وإعادة الإنتاج .
- إنّ هناك طرق لفهم الحياة الاجتماعية وخصائص النشاطات الاجتماعية .
- إنّ المفاهيم تتشكل في إطار المعنى لغوياً وعملياً .

أ- الجانب الثاني يرى غدنز أنّ الغاية الأولى في علم الاجتماع تتمثل في :

- التفسير التأويلي للأشكال المتباينة للحياة بلغة العلوم الاجتماعية.
- تفسير إنتاج المجتمع وإعادة إنتاجه كنتاج لإنجازات الوسيط الإنساني والذي تتأثر نشاطاته وأفعاله بما تم إنتاجه .

يرى غدنز أنّ **مفهوم الأبناء** الذي يتضمن معناه الثنائية البنائية يسير إلى أنماط الحياة الاجتماعية ويعبر عن الاعتماد المتبادل بين الفاعل والبناء, وتعني الثنائية البنائية أنّ خصائص النسق الاجتماعي تعتبر نتائج الممارسات والأفعال الإنسانية وبنفس الوقت الوسيط والظرف لتشكيل الممارسات والأفعال وضمن هذه العلاقة التبادلية الجدلية ترفض الأبنائية اعتبار البناءات مجرد محددات للضوابط والسلوك بل لا بدّ من النظر إليها كظروف ممكّنة ومساعدة على إظهار قدرات الإنسان وتطويرها ...., فالبناء يساهم في تشكيل المجتمع والفاعل يساهم بنفس الوقت ولكن ليس كاملاً في الجانبين وذلك بسبب الأفعال غير المقصودة والظروف الاجتماعية المبهمة المحيطة بالفعل وعليه يجب أن لا ينظر إلى البناء كمعطل للفعل وإنما كعامل في إنتاجه فمن خلال فكرة ثنائية البناء يستخدم الفاعل الموارد والقواعد في علمية التفاعل بالوقت الذي يعاد فيه إنتاج البناء بالتفاعل (التفاعل يساهم ببناء المجتمع, وبناء المجتمع يحقق التفاعل) وهنا يعتبر البناء نمط العلاقة بين اللحظة والكل وثمّ التعبير عنها بإعادة الإنتاج الاجتماعي , ويشكل البناء جملة من القواعد والموارد تنتظم كخصائص للنسق الاجتماعي وخصائص فيه فلا يوجد البناء إلا لخصائص بنائية , أما النسق فيشير معناه إلى العلاقات التي يعاد إنتاجها بين المتفاعلين ثمّ تنظيمها كممارسات اجتماعية عادية وقد تمّ تنميطها في إطار زمني مكاني , علاقة الفاعل بالبناء في إنتاج النسق في الإبنائية تعبر عن علاقة جدلية ضمن ظروف ترتبط بالتحول المستمر في البناءات الاجتماعية

خلاصة نظرية غدنز ما يلي :

1 – إنّ علم الاجتماع يدرس عالماً وواقعاً تمّ بناؤه بأيدي فاعلين نشطين .

2 – إنّ الوسيط الإنساني كفاعل مجاله محدد وليس حرّاً فالناس يشكلون المجتمع ويعيدون إنتاجه كفاعلين تموضعوا هكذا تاريخياً وليس بخيارهم .
3 – اختلاف الواقع الاجتماعي عن العالم الطبيعي فالأول من إنتاج الإنسان أما الثاني فخلقته وأوجدته الطبيعة .
4 – إنّ إنتاج المجتمع وإعادة إنتاجه ليس إلا نتيجة أداء وتفاعل الأعضاء .
5 – البناءات الاجتماعية عوامل ضابطة ومحددة وعوامل مسهلة ومشكلة للقدرات الإنسانية أيضاً .
6 – تتضمن عملية الأبناء الأخذ بالمعاني والمعايير والقوة وهي من المفاهيم الأساسية التي تؤثر في الفعل القصدي وتشكيل البناء .
7 – لا يمكن للباحث في علم الاجتماع أن يجعل من الحياة الاجتماعية ظاهرة للدراسة والملاحظة إلا من معرفته الأولية بها لكي تصبح هذه المعرفة أساساً لتصوراته ودراسته وهو بهذا لا يختلف عن أي عضو بالجماعة وبذا تكون هذه المعرفة الجماعية من الأطر التي تساعد على تأويل المعنى ومعرفة الخصائص للبناء .
8 – إنّ مشاركة الباحث في حياة الجماعة تصبح من الأمور الضرورية للفهم ولمعرفة تلك الخصائص للبناءات وإنّ المشاركة في ثقافة غربية لا تعني أن يصبح الباحث عضواً في تلك الثقافة وإنما يشير إلى درجة من المشاركة والاندماج كالمشاركة في تجمعات الجماعة ونشاطاتها بحيث يتمكن من تأويل الأفعال وتحديد خصائص البناءات .

9 – تخضع المفاهيم في علم الاجتماع إلى علمية تأويل ثنائية تتضمن المعاني في الحياة العادية , والمعاني المرتبطة بتحليل الباحث وتأويله , لأنّ كل تعميم نظري في العلوم الطبيعية و الاجتماعية يشكل صورة للحياة وبهذا لا بدّ من الدقة في استخدام المفاهيم التي تمثل نمطاً من النشاط الفعلي فعلم الاجتماع يتناول عالماً تم تشكيله وإنتاجه ضمن إطار المعاني من قبل الفاعلين أنفسهم يؤوله الباحث بلغة تقنية علمية وهذا ما يعني بثنائية التأويل .

10 – الخلاصة إنّ غدنز يرى أن الهدف الأول للتحليل في علم الاجتماع يتمثل بـ:

-التفسير التأويلي والتعبير عن صورة الحياة وصفاً وتحليلاً بلغة العلوم الاجتماعية .

-تفسير بناء وإعادة بناء المجتمع كنتيجة للنشاط الإنساني .

المراجع:

- محمد عبد الكريم الحوراني .النظرية المعاصرة في علم الاجتماع
- أيان كريب. النظرية الاجتماعية
- احسان محمد الحسن .النظريات الاجتماعية المتقدمة